

10

معالم الوسطية عند الأئمة الأربعة وتحقيقتهم لها

Muhammad Nur Ihsan¹

ملخص البحث

الوسطية من أعظم نعم الله على هذه الأمة المحمدية، وهي بمعانها الثلاثة: العدالة والخيرية والبيئية تدل على شرف هذه الأمة وعلو مكانتها بين الأمم، وأن أول الناس دخولا في هذا الوصف من هذه الأمة هم أهل السنة والجماعة، وهذه الوسطية شملت جميع جوانب الحياة: علما وعملا وسلوكا ودعوة وغير ذلك. وقد حرص أئمة الإسلام على بيان مفهوم الوسطية ومعالمها وتحقيقتها واقعيًا في حياة المسلمين، ومن هؤلاء الأعلام: الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد). وهذا البحث إبراز لجهودهم المباركة في بيان ذلك، وأن حياتهم العلمية والعملية والسلوكية والدعوية كلها في الحقيقة أمثل النماذج لفهم الوسطية فهمًا صحيحًا

¹ Prodi Ilmu Hadits STDI Imam Syafi'i Jember. mnurihsan04@gmail.com

وبيان معالمها بيانًا واضحًا وتحقيقها تحقيقًا عمليًا. وهو من البحوث المكتبية القائمة على المنهج الكمي الاستقرائي التحليلي.

ويُستخلص من خلال البحث أن المفهوم الشامل الكامل للوسطية هو سبيل وحيد لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، والعودة بهم إلى جادة الحق والعزة والتمكين في الأرض، وأن من المعالم والملاح التي تظهر من خلالها وسطية أهل السنة، الفرقة الناجية بين فرق الأمة ما يلي: (١) التمسك بالكتاب والسنة وترك البدعة، (٢) اتباع السلف الصالح في فهم الدين والعمل به، (٤) ضرورة الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، (4) ترك التعصب والتقليد، (٥) حكم مرتكب الكبيرة، وأنه لا يكفر إلا إذا توفرت فيه الشروط وانتفت الموانع، (٦) ومعاملة الحكام، وأنه يجب السمع والطاعة لولي الأمر في المعروف والصبر على جورهم وعدم الخروج عليه. وأن فهم هذه الأمور والتزامها في تلقي الدين والعمل به والدعوة إليه من أكبر أسباب السلامة والوقاية من الغلو والتطرف وأنفع الوسائل لمكافحتهما.

مفتاح الكلمات: المعالم، الوسطية، الأئمة الأربعة، التحقيق.

أ. المقدمة

١. خلفية البحث.

إن من نعم الله على هذه الأمة المحمدية، وتشريفه لها، أن جعلها أمة وسطًا خيارًا عدولًا فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهي خير الأمم التي أخرجت للناس قاطبة كما وصفها وشهد لها ربها وخالقها بذلك، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. اختار لها سبحانه من خيارها وأوسطها نسبًا ومكانة خيرة خلقه

وأفضل رسله فبعثه فيها نبياً رسولاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وأنزل عليها أشرف كتبه، وجعله مهيمناً على الكتب قبله شاملاً لخير ما جاءت به. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. بمتابعة هذا النبي الكريم والاهتداء بهدي هذا الكتاب العظيم شرفت هذه الأمة، فكانت خير الأمم وأوسطها وأعدلها. ثم كان أسعد هذه الأمة بهذه الخيرية، أسعدها باتباعهما، وأحرصها على هديهما قولاً وعملاً واعتقاداً، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تابعوهم، ثم التابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة المفضلة، التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية في قوله: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"^١، فهؤلاء هم خيار الأمة، ثم يلحق بهم كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الهدي والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، من أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الافتراق بأنهم الفرقة الناجية، وأنهم الجماعة. فهؤلاء جميعاً هم خيار هذه الأمة، وأوسطها^٢.

١ رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (رقم: ٣٦٥٠).

٢ محمد باكريم، وسطية أهل السنة بين الفرق، ط/ الأولى، بدون مدينة: دار الراجعية، ١٤١٥ هـ.

(ص ٥-٧).

وهذه الوسطية شملت جميع أمور الدين أصولاً وفروعاً وعقيدةً وعبادةً وخلقاً وسلوكاً وتصوراً وعملاً ودعوة وغير ذلك. وقد حرص أئمة الإسلام كل الحرص على بيان المفهوم الصحيح للوسطية للمسلمين من خلال إظهار معالمها وتطبيقها وتحقيقها في واقع حياتهم عملاً بالقرآن العظيم واتباعاً للنبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، ومن بين هؤلاء الأعلام الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد -رحمهم الله-).

٢. تحديد المسألة.

لذا فإن إبراز جهود هؤلاء الأئمة في توضيح معالم الوسطية وبيان مفهومها الصحيح الشامل الكامل من الأهمية بمكان، والسؤال الذي يطرح نفسه هاهنا: ما هي جهود هؤلاء الأئمة في بيان معالم الوسطية وتحقيقهم لها؟، وهذا البحث المتواضع محاولة في الجواب عن هذا السؤال الهام.

٣. منهج البحث:

وهذا البحث يعد من البحوث المكتبية التي تعتمد على المنهج الكمي الاستقرائي التحليلي، ومطالعة أقوال الأئمة الأربعة في هذا الأمر، ثم دارستها واستقرائها وتحليلها وعرضها وفق قواعد البحث العلمي.

ب. موضوع البحث

١. التعريف الموجز بالأئمة الأربعة^١.

(أ) أبو حنيفة رحمه الله [٨٠-١٥٠هـ]

هو الإمام فقيه الملة، عالم العراق، أحد أئمة الإسلام، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي، ولد سنة ٨٠ هـ، في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، عني بطلب الآثار وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى، والناس عيال عليه في ذلك. توفي سنة ١٥٠ هـ.

(ب) مالك بن أنس رحمه الله [٩٣-١٧٩هـ].

هو الإمام الحافظ، فقيه الأمة، شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك الصبيح المدني، ولد سنة ٩٣، وتوفي سنة ١٧٩ هـ. قال الإمام الذهبي رحمه الله:

"وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره: أحدها: طول العمر وعلو الرواية، وثانيتهما: الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم، وثالثتهما: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، ورابعتهما: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن، وخامستهما: تقدمه في الفقه والفتوى، وصحة قواعده"^٢

(ت) الإمام الشافعي رحمه الله [١٥٠-٢٠٤هـ].

١ لخصت تراجمهم من كتاب: أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة، للدكتور ناصر بن عبد الله القفاري، ط/الأولى، الرياض: دار الوطن، ١٤١٤ هـ. (ص ١٩-٢٢).

٢ الذهبي، محمد بن أحمد، *تذكرة الحفاظ*، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م

هو عالم العصر، فقيه الملة، نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وناصر سنته، وأحد مجيدي المائة الثانية، الإمام العلم حبر الأمة، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عيد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب المطلب القرشي الشافعي. صنف التصانيف ودون العلم ونشر السنة، وصنف في أصول الفقه وفروعه، لقب بناصر الحديث، ولد سنة 150هـ، وهو العام الذي توفي فيه أبو حنيفة، وتوفي سنة 204هـ.

(ث) أحمد بن حنبل رحمه الله [١٦٤ - ٢٤١هـ].

هو شيخ الإسلام، وسيد المسلمين في عصره، الحافظ الحجة، جبل الدنيا في العلم والعمل والصبر والثبات، الناصر للسنة والصابر على المحنة، الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني الذهلي المروزي، المشهور بإمام أهل السنة والجماعة، الذي قال فيه علي بن المديني:

"إن الله أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم

المحنة"^١.

وقال فيه الشافعي:

١ أبو يعلى، محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، تحقيق/ محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة،

بدون سنة. (١٣/١)

"خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أروع ولا أزهى ولا أعلم من أحمد"^١.

ولد سنة 164 هـ وتوفي سنة 241 هـ.

ثانياً: مفهوم الوسطية لغة واصطلاحاً

1- معنى الوسطية لغة.

مادة (وسط) تدل على معانٍ متقاربة، يقول ابن فارس: الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه"^٢. و(وسط) - بسكون السين- يكون ظرفاً بمعنى (بين)، يقال: جلست وسط القوم أي: بينهم. و(وسط) -بفتح السين- تأتي لمعاني متعددة، منها: اسماً لما بين طرفي الشيء هو منه، وبمعنى (خيار) وأفضل وأجود، ويأتي بمعنى العدل، ويأتي بمعنى الشيء بين الجيد والرديء"^٣.

واستقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة (وسط) أرادوا معاني الخير والعدل والجودة، والرفعة والمكانة العالية. والعرب تصف فاضل النسب بأنه وسط في قومه،

١ أبو يعلى، محمد بن محمد، *طبقات الحنابلة* (١٨/١)

٢ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*، (كتاب الواو، باب الواو والسين)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام ١٣١٩ هـ، ١٩٧٩ م (١٠٨/٦)

٣ الصلاحي، محمد بن محمد، *الوسطية في القرآن الكريم*، ط/الأول، الإمارات - الشارقة: مكتبة الصحابة، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م (ص ١٣-١٥).

وفلان من واسطة قومه أي: من أعيانهم، وهو من أوسط قومه، أي: من خيارهم وأشرفهم^١.

2- معنى الوسطية شرعاً.

أما مفهوم الوسطية في الشرع فيمكن بيان ذلك من خلال معرفة معاني الوسطية التي وصف الله بها هذه الأمة، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وهذه الوسيطة المشار إليها في الآية لها ثلاثة معان وهي: العدالة، والخيرية، والاعتدال والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، والمعنى الأول: نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تلا الآية، قال: (الوسط: العدل)^٢، وفي رواية (عدولا)^٣. والمعنى الثاني: الخيرية، قال ابن كثير في تفسير الآية: (الوسط هاهنا: الخيار والأجود)^٤، وقد أخبر الله تعالى عن خيرية هذه الأمة بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية. والمعنى الثالث: الاعتدال والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. وهذا ما اختاره الإمام ابن جرير الطبري في تفسير الآية فقال: "وأنا أرى أن

١ فريد بن عبد القادر، *الوسطية في الإسلام* (رسالة الماجستير). (ص ١٠)

٢ رواه البخاري في صحيحه (رقم: ٤٤٨٧).

٣ الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق/ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٣/ ١٤٣، ح ٢١٦٨.

٤ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق/ سامي سلامة، دار طيبة، ط/ الثانية، عام ١٤٢٠ هـ. (٤٥٤/١).

"الوسط" في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين. وقال: وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط": لتوسطهم في الدين؛ فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهيب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها^١.

وكل من هذا المعاني الثلاثة صحيح، والآية صالحة للجميع، وهي معان متلازمة مترابطة؛ فالعدول، لا يكونون إلا خيارًا، بل لا تتوفر العدالة إلا في خيار الناس لا في فساقهم وسفلتهم فإنهم ليسوا مظنة عدالة. والخيار لا بد أن يتصفوا بالعدالة؛ فإذا كانوا ظلمة جائرين فليسوا بخيار. وأما التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وبين الغلاة، والجفأة، فإنه عدل واعتدل. وهو خير من الميل إلى أحد الطرفين المذمومين. وهذه الأمة أمة وسط بين الأمم بكل ما تدل عليه كلمة "وسط" من معنى؛ فهي خير الأمم وأفضلها وأشرفها وأكملها كما أخبر الله بذلك عنها، وهي أعدل الأمم ولذلك

١ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٤٢/٣).

أعدّها الله لتكون شاهدة على الناس، وهي آخذة بمركز الوسط بين الإفراط والتفريط والغلو والتقصير^١.

هذا هو المفهوم الشرعي لوسطية هذه الأمة بين الأمم، ثم إن أول الناس دخولاً في هذه الوسطية هم أهل السنة والجماعة، وأن كل معنى من معاني الوسطية ثبت لهذه الأمة؛ فلأهل السنة منه الحظ الأوفر، وما ذاك إلا لأنهم النموذج الأمثل للأمة التي جعلها الله أمة وسطاً، إذ هم الطائفة الوحيدة التي حققت المتابعة المحضة لكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بخلاف غيرهم من فرق وطوائف الأمة، فإنه ما من فرقة ولا طائفة منها إلا ولها من الأقوال والاعتقادات ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لذلك كان أهل السنة خير فرق هذه الأمة وأوسط طوائفها، لتمسكهم بالسنة وحرصهم على متابعتها، والذب عنها؛ فهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية^٢، وهم "وسط في النحل، كما أن ملة الإسلام وسط في الملل"^٣.

ثالثاً: جهود الأئمة الأربعة في بيان معالم الوسطية وتحقيقهم لها.

١ محمد باكريم محمد، وسطية أهل السنة بين الفرق، (ص ١٦٠-١٦٢).

٢ محمد باكريم محمد، وسطية أهل السنة بين الفرق، (ص ٢٩٧).

٣ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، جمع محمد بن قاسم (٣/٣٧٠).

قبل الشروع في بيان جهود هؤلاء الأئمة في بيان معالم الوسطية وتحقيقهم لها، أود الإشارة إلى أمر مهم، ألا وهو أن الحياة العلمية والعملية والدعوية والسلوكية التي كان عليها هؤلاء الأئمة هي في الحقيقة نموذج واقعي يترجم مفهومًا صحيحًا للوسطية ويمثل تطبيقًا عمليًا لها في ذلك العصر، كيف لا، وهم خير من يمثل ذلك القرن الذي شهد له بالخيرية، حتى صار إذا أطلق هذا الاسم (الأئمة الأربعة) انصرف إليهم (أبي حنيفة، ومالك والشافعي وأحمد) وذلك عبر قرون خلت إلى يومنا هذا^١.

لذا فالكلام حول جهودهم في بيان معالم الوسطية وتحقيقهم لها موضوع واسع جدا لا يمكن التوفية بحقه كاملا بهذا البحث المتواضع، ولكن ما لا يدرك جلّه ولا يترك كله، ولهذا فإنما أتناول بالحديث عن جهودهم في ذلك في ستة أمور تالية: التمسك بالقرآن والسنة، واتباع منهج السلف الصالح، والجمع بين العلم والعمل، ومسألة التعصب والتقليد الأعمى، ومسألة الأسماء والأحكام أو مرتكب الكبيرة، ومعاملة الحكام. وهذه المسائل -فيما يظهر لي- من الأمور المهمة التي تبين مفهوم الوسطية ومعالمها عند أهل السنة والجماعة وتميزهم عن الفرق الهالكة، وأنها من الموضوعات التي تمس الحاجة إليها في حياتنا المعاصرة التي كثرت فيها صور الغلو

١ القفاري، ناصر بن عبد الله، أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة، دار الوطن، الرياض، ط/ الأولى، عام ١٤١٤ هـ (ص ١٧).

والتطرف والتشدد والعنف والإرهاب التي هي في الحقيقة خروج عن السنة ومخالفة للوسطية.

وبعد، فهذا الشروع في بيان جهودهم في ذلك -ومن الله استمد العون والتوفيق-:

١- اتباع القرآن والسنة وترك البدعة.

لا تتحقق الوسطية إلا بالاتباع وترك الابتداع، فاتباع القرآن والسنة وترك البدعة أساس الوسطية، ولا تتحقق العدالة والخيرية والبيئية إلا بذلك، فمن خالف القرآن والسنة واتبع البدعة، فقد وقع في انحراف إما إلى إفراط أو إلى تفريط، وكلاهما خروج عن الوسطية. لذا فقد حرص هؤلاء الأئمة على بيان أهمية الاتباع وخطورة الابتداع، وغرس هذا الأمر في نفوس تلاميذهم خاصة وفي المسلمين عامة، فأقوالهم في ذلك كثيرة طيبة، وإليك بعضها:

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

"أخذ بكتاب الله فما لم أجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه".^١

وقال أيضا:

١ ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية (ص ١٤٢).
الخميس، محمد بن عبد الرحمن، أصول الدين عند أبي حنيفة، المملكة العربية السعودية: دار الصميعي، ص ١٤٨

"ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله تعالى، ولا مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا مع ما أجمع عليه الصحابة".^١

وقال الإمام مالك رحمه الله:

"إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"^٢. وقال: "السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"^٣.

وقال:

"من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول: {اليوم أكملت لكم دينكم} [المائدة: 3]، فما لم يكن يومئذ ديننا، فلا يكون اليوم ديننا"^٤.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

"أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد"^٥.

وقال أيضا:

١ الخميس، أصول الدين عند أبي حنيفة، (ص ١٤٩).

٢ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق/ أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤١٤ هـ (٧٧٥/١).

٣ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، الجامعة الإسلامية، ط/٣، ١٤٠٩ هـ (ص ٧٦). الدعجان، سعود بن عبد العزيز، عقيدة الإمام مالك، ط/الأولى، الجزاء: الميراث النبوي للتوزيع، (ص ٣٠).

٤ الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الاعتصام، تحقيق/ الشيخ سليم الهلالي، ط/ الأولى، السعودية: دار ابن عفان، ١٤١٢ هـ، (٦٥/١).

٥ الفلاني، صالح بن محمد بن نوح، إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، بيروت: دار المعرفة (ص ٥٨).

"إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت". وفي رواية: "فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد".^١

وقال الإمام أحمد رحمه الله:

"من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة"^٢

٢- اتباع السلف الصالح

تقدم أن من معاني الوسطية: الخيرية، وبها وصفت هذه الأمة، وأول الناس دخولاً في هذا الوصف هم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم، المعروفون بالسلف الصالح، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

فلا تتحقق الوسطية والخيرية لهذه الأمة إلا باتباع سبيل السلف الصالح في

جميع أمور الدين، كما قال الإمام مالك رحمه الله:

"وَلَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوْلَهَا"^٣

١ النووي، يعي بن شرف، المجموع شرح المهذب، بيروت: دار الفكر. (٦٣/١).

٢ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، مناقب الإمام أحمد، تحقيق/ الدكتور عبد الله التركي، دار هجر (ص ٢٤٩)، الألباني، محمد ناصر الدين، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، الرياض: دار المعارف. ص ٥٣.

٣ القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ -

١٩٨٨ م (٨٨/٢).

ولهذا صار اتباع مذهبهم شعاراً لأهل السنة والجماعة^١.

فقد حثَّ هؤلاء الأئمة على اتباع سبيل السلف الصالح، وعدم العدول عنه قدر شبر، لأنهم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً. ولما سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله عما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال:

"مقالات الفلاسفة، عليك بالآثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة"^٢.

وقد طبق هو رحمه الله هذا المسلك في حياته العلمية، فقال:

"إذا لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، نظرت في أقاويل أصحابه، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر أو جاء الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن جبير وعدد رجالاً؛ فهم قوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا"^٣.

وهذا الإمام الشافعي، وكان يعظم فهم الصحابة وأمر باتباعهم، فقال رحمه الله:

١ السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد، الانتصار لأصحاب الحديث، تحقيق / محمد الجيزاني، ط/ الأولى، السعودية: مكتبة أضواء المنار، ١٤١٧ هـ (ص ٣١)

٢ الهروي، أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد، ذم الكلام وأهله، تحقيق / عبد الرحمن الشبل، ط/ الأولى، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨ هـ (٢٠٦/٥) (رقم: ١٠٠٦)، الخميس، أصول الدين عند أبي حنيفة، (ص ٥٨٧).

٣ ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، (ص ١٤٣)، الخميس، أصول الدين عند أبي حنيفة، (ص ١٤٨).

"وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عامًّا وخاصًّا، وعزماً وإرشاداً. وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمرٍ استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمَدُ وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا".^١

ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله:

"أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والافتداء بهم، وترك البدع؛ وكل بدعة فهي ضلالة".^٢

ولهذا فلا تتحقق الوسطية إلا باتباع سبيل السلف الصالح، ومن خالف ذلك

فقد شاق الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع غير سبيلهم، فهلك في الدنيا وشقي في

الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. وما هلك من

١ البيهقي، أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي، تحقيق / السيد أحمد صقر، القاهرة: مكتبة دار التراث (٤٤٢/١)، العقيل، محمد بن عبد الوهاب، منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، ط/الأولى، الرياض: أضواء السلف، ١٤١٩ هـ. ص ١٣٠.

٢ أحمد بن محمد بن حنبل، أصول السنة، الطبعة: الأولى، السعودية: دار المنار، ١٤١١ هـ (ص:

هلك من الفرق الضالة إلا بسبب مخالفة سبيل السلف الصالح وما كانوا عليه من العقيدة والعبادة والسلوك وغير ذلك، ولهذا صار ترك انتحال مذهبهم شعاراً لأهل البدعة الخارجة عن الوسطية^١.

٣- العلم النافع والعمل الصالح

من معالم الوسطية الاستقامة على الحق وسلوك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحقيقة سبيلهم هو الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، وبذلك سلموا من مسلك المغضوب عليهم (هم اليهود ومن شابههم) الذين فسدوا في العلم، ومن مسلك أهل الضلال (هم النصارى ومن شابههم) الذين فسدوا في العمل، وكلا المسلكين خارج عن الوسطية، وهذا ما تضمنه قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وإذا تصفحنا سير هؤلاء الأعلام النبلاء وقرأنا في تراجمهم العطرة، لوجدنا معلومات طيبة وأحوالاً حسنة تدل على استقامتهم في سلوك الصراط المستقيم، حيث جمعوا بين العلم والعمل، فكتملوا القوة العلمية بعلم الكتاب والسنة وآثار

١ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٥٥/٤)

الصحابة، وكمَّلوا القوة العملية الإرادية بالعمل الصالح المبني على الإخلاص والمتابعة، وهذا هو تحقيق حقيقي للوسطية، وإليك الأمثلة لذلك من تراجم هؤلاء الأعلام:

يقول الإمام أبو يوسف -وهو يصف خصال أبي حنيفة الحسنة:-

"كان علمي بأبي حنيفة أنه كان شديد الذب عن محارم الله أن تؤتى، شديد الورع أن ينطق في دين الله بما لا يعلم، يحب أن يطاع الله ولا يعصى، مجابنا لأهل الدنيا في زمانهم، لا ينافس في عزها، طويل الصمت، دائم الفكر، على علم واسع..."^١.

وأما عبادته فكان أكثر الناس اجتهادا، صائما بالنهار، قائما بالليل، تاليا لبيان الله، خاشعا، دائبا في طاعة الله^٢.
وأما الإمام مالك فقد تقدم كلام الإمام الذهبي في بيان رفعة مكانته في العلم،
وأما الجانب العملي: فكان رحمه الله كثير العبادة والصلاة، والعمل في السر. وكل شغله في بيته: "المصحف والتلاوة". "وكان كثير التلاوة وطويل البكاء"، "وكان إذا صلى الصبح جلس في مجلسه لا يتكلم، ولا يكلم أحدا حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت اتصلت إلى حلقتة"^٣.

١ الخميس، أصول الدين عند أبي حنيفة، ص ٧٠

٢ وهي سليمان غاوي، أبو حنيفة النعمان بن ثابت، دار القلم (ص ٨٣).

٣ الدعجان، عقيدة الإمام مالك رحمه الله، (ص ٢١-٢٢).

وأما الإمام الشافعي ناصر السنة، فقال عنه الفضل بن دكين:
"ما رأينا ولا سمعنا أكمل عقلا، ولا أحضر فهما، ولا أجمع علما من

الشافعي".

وقال الإمام أحمد بن حنبل:

"ما تكلم في العلم أقل خطأ من الشافعي".

وقال أيضا:

"ما رأيت أفصح منه، ولا أفهم للعلوم منه".^١

وأما الجانب العملي، فكان كثير العبادة والصلاة والتلاوة، حتى قال عنه ابن

الربيع:

"كان الشافعي يحي الليل إلى أن مات"

يعني: يحي بعضه، وليس كله. و"كان جزأ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب،

والثلث الثاني يصلى، والثلث الثالث: ينام". وكان يختم في كل شهر ثلاثين ختمة، وفي

رمضان ستين ختمة، سوى ما يقرأ في الصلاة".^٢

وأما إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل، فقال عنه إبراهيم الحربي:

"رأيت أحمد فكأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما

يشاء ويمسك ما يشاء".

وقال ابن ماكولا:

١ عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي فقيه السنة، دار القلم - دمشق (ص ٣٣٨-٣٣٩).

٢ عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي فقيه السنة (ص ٣٦٤-٣٦٧).

"كان أعلم الناس بمذاهب الصحابة والتابعين".

وكان يحيى بن معين: "كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها في عالم قط: كان محدثا، وكان حافظا، وكان عالما، وكان ورعا، وكان زاهدا، وكان عاقلا".^١ وأما عبادته: فكان رحمه الله كثير الصلاة والقراءة كما كان دأب السلف الصالح رحمهم الله.^٢

٤- ترك التعصب والتقليد الأعمى

التعصب والتقليد الأعمى منافيان تمام المنافاة لحقيقة الاتباع وسلوك الصراط المستقيم الذي هو أحد معالم الوسطية، لأن حقيقة التعصب والتقليد الأعمى الجهل ورد الحق واتباع الهوى. ولهذا فقد انفقت كلمة الأئمة في الأمر باتباع الدليل الصحيح، ودم التعصب والتقليد، ولهم في ذلك أقوال كثيرة طيبة.^٣

قال الإمام أبو حنيفة:

(إذا قلت قولا يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم

فاتركوا قولي)^٤.

وقال:

(لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه)^١.

١ عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي فقيه السنة (٢٣٦-٢٣٧).

٢ عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي فقيه السنة (ص ٢٥٥-٢٥٧).

٣ الألباني، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٦-٥٣).

٤ الفلاني، صالح محمد بن نوح، إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار،

دار المعرفة - بيروت (ص ٥٠).

وفي رواية:

(حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي).

وقال أيضا:

(إذا صح الحديث فهو مذهبي)^٢،

وهكذا قال أيضا الإمام الشافعي رحمه الله^٣.

وقال الإمام مالك رحمه الله:

"ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي

صلى الله عليه وسلم"^٤.

وقال:

"إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة

فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"^٥.

وقال الإمام الشافعي:

(كل ما قلت فكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح

فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى فلا تقلدونني)^٦.

١ ابن عابدين، محمد أمين بن عمر الحنفي، الدر المختار وحاشية ابن عابدين، دار الفكر، بيروت، ط/ الثانية، عام 1412هـ (1/68).

٢ ابن عابدين، الدر المختار وحاشية ابن عابدين (1/63).

٣ النووي، المجموع شرح المهذب. (1/63).

٤ الألباني، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٩).

٥ الألباني، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٨).

٦ تاريخ دمشق، لابن عساكر، دار الفكر. (٣٨٦/٥١) الألباني، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٥٢).

وقال:

"إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت".^١

وقال الإمام أحمد:

(لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا)^٢.

وفي رواية:

(لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير)^٣.

كل هذه النقول تدل على حرص هؤلاء الأئمة على تحقيق الوسيطة، وحث المسلمون على اتباع الدليل من القرآن والسنة، وترك التقليد الأعمى والتعصب لأحد كائنا من كان، لأن هذا خروج عن الوسيطة والخيرية، والله أعلم.

٥- حكم مرتكب الكبيرة.

عدم فهم هذه المسألة فهما صحيحا، من أعظم أسباب وقوع الطوائف في الغلو والجفاء في الحكم على المخالفين، فقد أفرط الخوارج والمعتزلة فكفر الخوارج مرتكب الكبيرة في الدنيا إن لم يتب، وحكموا عليه بالخلود في النار في الآخرة، وقالت

١ الألباني، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٥٠)

٢ الألباني، صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٥٣)

٣ أبو داود السجستاني، مسائل الإمام أحمد، رواية (ص ٣٦٨). أبو داود، مسائل الإمام أحمد

(ص ٥٣)

المعتزلة بالخلود كذلك أيضا في النار، إلا أنهم قالوا في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، ليس بمؤمن ولا بكافر. وفرطت المرجئة فقالوا: أن من قال لا إله إلا الله، فهو مؤمن كامل الإيمان، وكل مؤمن في الجنة، وغلا بعضهم فقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة. وتوسط أهل السنة والجماعة بين الطائفتين، فقالوا إن مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج من الدين بسبب ارتكابه للكبيرة، وإنما ينقص إيمانه فلا يذهب عنه الإيمان بالكلية، بل يبقى معه مطلق الإيمان، هذا بالنسبة للدنيا، وأما في الآخرة فأمره مفوض إلى الله إن شاء غفر له وعفا عنه برحمته وفضله، وإن شاء عذبه بعدله وحكمته، وأن ارتكاب الكبيرة ليس سببا للخلود في النار، إلا الشرك بالله. وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما قرره هؤلاء الأئمة تحقيقا للوسطية.

فهذا الإمام أبو حنيفة رحمه الله يقول:

"ولا نكفر أحدا بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها، ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسبته مؤمنا حقيقة، ويجوز أن يكون مؤمنا فاسقا غير كافر". إلى أن قال: "وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب منها صاحبها حتى مات مؤمنا فإنه في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار وإن شاء عفا عنه".^١

وقال الإمام مالك رحمه الله:

١ أبو حنيفة، الفقه الأكبر ص ٣٠٤، والخميس، أصول الدين عند أبي حنيفة، ص ٤٥٣.

"لا تكفروا أهل التوحيد بذنب، ولا تشركوهم"^١.

وقال:

"إن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله شيئاً ثم نجي من الأهواء رجوت أن يكون في أعلا الفردوس. لأن كل كبيرة بين العبد وربّه هو منها على رجاء وكل هوى ليس هو منه على رجاء، إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم"^٢.

وأما الإمام الشافعي فخلاصة قوله: أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإسلام

بذنب، وأنه إن تاب تاب الله عليه، وإن أقيم عليه الحد فهو كفارة له، وإن مات

مصراً على ذنبه فهو إلى الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، إلا أنه لا يخلد في النار^٣.

وأما الإمام أحمد فقال رحمه الله:

"وأن لا تكفر أحدًا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر"^٤

وقال:

"صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة... ولم يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وفوض أمره إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله"^٥.

١ أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٨/٥٨٦) والدعجان، عقيدة الإمام مالك. (ص ٦٩).

٢ القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ط/ الأولى، المغرب: مطبعة فضالة، (٢/٤٩) والدعجان، عقيدة الإمام مالك (ص ٦٩).

٣ العقيل، منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، ص ٢٠٥

٤ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة (١/١٣١)، الأحمدي، عبد الإله بن سلمان، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، دار طيبة، ط/ الأولى، ١٩٩١ م (١/١٢٧).

٥ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، (١/٢٩٤)، الأحمدي، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، (١/١٢٧).

وقال:

"ومن لقيه مصرًا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له إذا توفي على الإسلام والسنة"^١.

وبهذا يظهر جليا مدى حرص هؤلاء الأئمة على بيان المفهوم الصحيح للوسطية في هذا الباب وجهودهم في تحقيقها في حياة المسلمين ليكون أصلا لهم في تعاملهم مع العصاة والمخالفين ومرتكب الكبيرة من هذه الأمة.

٦- معاملة الحكام والصبر على جورهم.

تتلخص عقيدة أهل السنة والجماعة في معاملة الحكام فيما يلي: البيعة لهم، يعنى: العهد على الطاعة، والسمع والطاعة لهم في غير معصية، والصبر على جورهم وعدم الخروج عليهم، والنصح لهم سرًا، وتوقيرهم واحترامهم وعدم الطعن فيهم، وعدم الإنكار عليهم بالسلاح، والدعاء لهم بالصلاح. هذه هي الوسطية في التعامل مع الحكام، وقد دلت النصوص الشرعية على ذلك كله^٢.

ثم إن أول مظاهر الانحراف عن الوسطية في هذا الباب خروج الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إثر قضية التحكيم، فكفروا عليًا ومن

١ ابن أبي يعلى، *طبقات الحنابلة*، (1/311)، الأحمدي، *المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة*، (١/١٢٧).

٢ العبد الكريم، عبد السلام بن برجس، *عقيدة أهل الإسلام فيما يجب للإمام* (ص ١٦-٥٥).

رضي بالتحكيم، فوقعوا في الغلو والإفراط، وخرجوا عن الوسطية، وصار هذا - أعنى: التكفير والخروج على الحكام الظلمة- عقيدة ومنهجًا للخوارج في كل مكان وزمان إلى يومنا هذا، بل صارت هذه القضية -أعنى معاملة الحكام- فيصلا بين أهل السنة وغيرهم من الفرق الهالكة^١، وأن الخلل في فهم هذا الأمر من أعظم أسباب ظهور التطرف والإرهاب والتشدد في هذا العصر.

وقد حرص الأئمة على تحقيق الوسطية في التعامل مع جور الحكام، وذلك بالصبر عليهم، وعدم الخروج عليهم، حقنا للدماء وحفظا للأمن، لأن ذلك يؤدي إلى مفاسد عظيمة.

فهذا الإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفي قال في مقدمة عقيدته:
"هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين" -ثم ذكر من عقيدتهم:-
"ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة"^٢.

١ قال الإمام سهل بن عبد الله التستري (المتوفى سنة ٢٨٣هـ): "هذه الأمة ثلاث وسبعون: اثنتان وسبعون هالكة كلهم يبغض السلطان، والناجية هذه الواحدة التي مع السلطان". العبد الكريم، عقيدة أهل الإسلام فيما يجب للإمام (ص ٢٨).

٢ أبو جعفر الطحاوي، العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم (ص ٧، و ٢٤، رقم: ٩٥).

فهذا إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ذكر أن من أصول السنة:
"الصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من عدل أو جور، وأن لا نخرج
على الأمراء بالسيف وإن جاروا"^١.

ولهذا لما سأله أبو الحارث عن قوم ببغداد أرادوا الخروج على الحاكم، فقال:
"يا أبا عبد الله، ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم، فأنكر ذلك عليهم، وجعل
يقول: سبحان الله، الدماء، الدماء، لا أرى ذلك، ولا أمر به، الصبر على ما
نحن فيه خير من الفتنة يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأموال، وينتهك
فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه، يعني أيام الفتنة، قلت: والناس
اليوم، أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال: وإن كان، وإنما هي فتنة خاصة،
فإذا وقع السيف عمت الفتنة، وانقطعت السبل، الصبر على هذا، ويسلم لك
دينك خير لك، ورأيتك ينكر الخروج على الأئمة، وقال: الدماء، لا أرى ذلك، ولا
أمر به"^٢.

وقال حنبل رحمه الله:

"في ولاية الواثق: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله، فقالوا: يا أبا عبد الله،
هذا الأمر قد تفاقم وفسأ، -يعنون: إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك-، فقال
لهم أبو عبد الله: "فما تريدون؟ قالوا: أن نشاورك في أننا لسنا نرضى بإمرته،
ولا سلطانه، فنأظرهم أبو عبد الله ساعة، وقال لهم: «عليكم بالنكرة
بقلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا

١ ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، (١/١٣٠).

٢ الخلال، السنة، تحقيق/ الدكتور عطية الزهراني، دار الراجعية الرياض، ط/ الأولى عام ١٤١٠هـ

(١٣٢/١) رقم: ٨٩.

دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر»، وقال: هذا ليس صوابا، هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر"، ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن ضريك فاصبر، وإن... وإن فاصبر»، فأمر بالصبر^١.

وما تقدم نقله يدل على الأمر الذي كان عليه الإمام أحمد رحمه الله من الثبات والصبر والجمع بين القول والفعل في تحقيق الوسطية، بل بلغ به الأمر في هذا الباب إلى أن أوجب على نفسه الدعاء للإمام بالصلاح والتسديد، فقال: «وإني لأدعو له بالتسديد، والتوفيق، في الليل والنهار، والتأييد، وأرى له ذلك واجبا علي»^٢، لأن صلاح الإمام صلاح للعباد والبلاد. فرحم الله الإمام أحمد، ما أثبتته على السنة، وما أصبره على المحنة.

هذا ما تيسر ذكره وتمكن بيانه من جهود هؤلاء الأئمة في تحقيق الوسطية في تلك المسائل الستة، فجزاهم الله عن الإسلام خيرا على ما بذلوه من بيان وتعليم وإرشاد ونصح للأمة في لزوم الحق واتباع الصراط المستقيم والتحذير من ركوب مسلك أصحاب الجحيم المعضوب عليهم والضالين. والله ولي التوفيق.

١ الخلال، السنة، (١/١٣٣) (رقم: ٩٠). والحنبلي، محمد بن مفلح الصالحي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، (ط/ عالم الكتب) (١/١٧٥).

٢ الخلال، السنة، (١/٨٣) رقم: ١٤.

الخاتمة: نتائج البحث.

مما تقدم بيانه يمكن أن تستخلص النتائج المستفادة من البحث في النقاط

التالية:

١. الوسطية من أكبر نعم الله على هذه الأمة المحمدية التي بها نالت الشرف

والرفعة في الدنيا والآخرة.

٢. أهل السنة والجماعة هم النموذج الأمثل لتحقيق الوسطية، وهم أسعد

الطوائف بهذه الخصيصة الخيرية، فهم وسط في النحل كما أن الأمة

وسط في الملل.

٣. الوسطية في المفهوم الشرعي تشمل العدالة والخيرية والبيئية، وكلها من ملامحها البارزة ومعالمها الظاهرة.

٤. أن من معالم الوسطية وأسسها لزوم الكتاب والسنة واتباع سبيل سلف

الأمة وترك البدعة.

٥. الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح من المناهج الشرعية والملاحم

المرعية والمعالم الظاهرة التي بها تتحقق الوسطية والسلامة من مسلكي

أهل الغضب وأهل الضلالة.

٦. أن الوسطية بمفهومها السابق وملاحها المتقدمة هي سبيل وحيد لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، والعودة بهم إلى العزة والتمكين في الأرض.

٧. أن الحياة العلمية والعملية والدعوية والسلوكية التي كان عليها هؤلاء الأئمة هي في الحقيقة ترجمة لمفهوم الوسطية وتحقيق معالمها في أرض الواقع.

٨. ضرورة دراسة جهود كل واحد من هؤلاء الأئمة في بيان مفهوم الوسطية وتوضيح معالمها وتحقيقها، وإبراز ذلك للمسلمين ليكون نبراسا لهم في تحقيق الوسطية في جميع أمور الدين في حياتنا المعاصرة التي تشهد كثيرا من صور الغلو والتطرف والعنف، وتواجه عديدا من التحديات والممارسات الإرهابية التي تهدد الأمن الإقليمي والدولي، والله المستعان.
هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- ابن أبي يعلى، *طبقات الحنابلة*، تحقيق/ محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، بدون سنة.
- ابن الجوزي، *مناقب الإمام أحمد*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/ الثانية، بدون مدينة: دار هجر، ١٤٠٩ هـ.
- ابن برجس عبد السلام، *عقيدة أهل الإسلام فيما يجب للإمام*، ط/ الأولى، بدون مدينة: بدون طباعة، بدون سنة.
- ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، جمع عبد الرحمن بن قاسم.
- ابن عابدين، *الدر المختار*، ط/ الثانية، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢ هـ.
- ابن عبد البر، *الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم*، بدون مدينة: دار الكتب العلمية، بدون سنة.
- _____، *جامع بيان العلم وفضله*، تحقيق/ أبو الأشبال الزهيري، ط/ الأولى، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤ هـ.
- ابن عبد القادر، *فريد الوسطية في الإسلام*، -رسالة الماجستير-.
- ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، تحقيق/ عمرو بن غرامة العمروي، بدون مدينة: دار الفكر، ١٤١٥ هـ.
- ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: سامي سلامة، ط/ الثانية، دار طيبة، ١٤٢٠ هـ.
- أبو حنيفة، *الفقه الأكبر*، ط/ الأولى، الإمارات العربية: مكتبة الفرقان، ١٤١٩ هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين، *صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم*، ط/ الأولى، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١١ هـ.

- الأحمدي , عبد الإله بن سلمان, المسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، ط/ الأولى, الرياض: دار طيبة، ١٤١٢هـ.
- البهقي, أحمد بن الحسين, مناقب الشافعي، تحقيق/ السيد أحمد صقر، القاهرة: مكتبة دار التراث, بدون سنة.
- الخلال, أبو بكر, السنة، تحقيق/ الدكتور عطية الزهراني، ط/ الأولى, الرياض : دار الراجية، ١٤١٠هـ
- الخميس, محمد بن عبد الرحمن, أصول الدين عند أبي حنيفة، ط/ الأولى, المملكة العربية السعودية: دار الصمعي، بدون سنة.
- الدعجان, سعود بن عبد العزيز, عقيدة الإمام مالك رحمه الله، ط/ الأولى, الجزائر: الميراث النبوي، بدون سنة .
- الدقر, عبد الغني, الإمام الشافعي فقيه السنة، دمشق: دار القلم, بدون سنة.
- _____، أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، دمشق: دار القلم, بدون سنة.
- السمعاني, أبو المظفر, الانتصار لأصحاب الحديث، جمع/ محمد الجيزاني، ط/ الأولى, السعودية: مكتبة أضواء المنار، ١٤١٧هـ
- السيوطي, مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ط/ الثالثة, بدون مدينة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٩هـ
- الشبباني, أحمد بن محمد بن حنبل, أصول السنة، الطبعة: الأولى, السعودية : دار المنار – الخرج, ١٤١١هـ
- الصلابي, محمد بن محمد, الوسطية في القرآن، ط/ الأولى , الإمارات : مكتبة الصحابة، ١٤٢٢هـ.
- الطبري, ابن جرير, جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط/ الأولى، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ

العقيل، محمد بن عبد الوهاب، *منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة*، ط/ الأولى، بدون مدينة: أضواء السلف، ١٤١٩هـ.

الفلاني، إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، بيروت: دار المعرفة، بدون سنة.

القفاري، ناصر بن عبد الله، *أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة*، ط/ الأولى، الرياض: دار الوطن، ١٤١٤هـ.

الناصر، محمد زهير بن ناصر، *صحيح البخاري*، ط/ الأولى، بدون مدينة: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

النووي، المجموع شرح المهذب، بيروت: دار الفكر، بدون سنة.

الهروي، *نم الكلام وأهله*، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، ط/ الأولى، بدون مدينة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ.

اليحصبي، القاضي عياض بن موسى، *الشفاء بتعريف حقوق المصطفى*، بدون مدينة: دار الفكر، ١٤٠٩هـ.

_____، *ترتيب المدارك وتقريب المسالك*، المغرب: مطبعة

فضالة – المحمدية، بدون سنة.

باعد الله، محمد باكريم محمد، *وسطية أهل السنة بين الفرق*، ط/ الأولى، بدون مدينة: دار الراية، ١٤١٥هـ.

مسائل الإمام أحمد، رواية أبي داود السجستاني، تحقيق/ أبي معاذ طارق بن عوض، ط/ الأولى، مصر: مكتبة ابن تيمية، ١٤٢٠هـ.